

رحلة النبي ﷺ إلى الشام ومقابلة الراهب بحيرا "قراءة نقدية"

رحلة النبي ﷺ إلى الشام ومقابلة الراهب بحيرا "قراءة نقدية"

أ. د. محمد بن فارس الجميل

قسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة الملك سعود

أ.د. محمد بن فارس الجميل

رحلة النبي ﷺ إلى الشام ومقابلة الراهب بحيرا "قراءة نقدية"

المقدمة:

إن الباحث في قضايا السيرة يجد اضطراباً كبيراً في بعض مروياتها مما يجعل من الصعوبة التوفيق بينها ومن تلك القضايا رحلة الرسول ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام ومقابلته للراهب بحيرا وما صاحب تلك الرحلة من أخبار. لذلك فإن هذه الدراسة تهدف إلى نقد روايات الرحلة نقداً داخلياً وخارجياً بإثارة سؤال رئيس عن ذهابه ﷺ إلى الشام وهل وقع فعلاً أم أنه رجع من تيماء؟ أم أنه لم يذهب أصلاً؟ وإن كان قد ذهب هل قابل الراهب بحيرا؟ وإن قابله ماذا لاحظ عليه؟ وهل وقعت تلك الخوارق والمعجزات التي ترد في بعض الروايات؟

هذه التساؤلات من الصعب الإجابة عنها دون معرفة حقيقة وجود الراهب نفسه وما ديره وما صومعته وأين يقعان؟ وكيف تصورها المصادر الإسلامية والمراجع العربية النصرانية قديمها والحديث، إضافة إلى المراجع والدراسات الأوروبية الحديثة؟

وأخيراً لا مناص من تصنيف الروايات الإسلامية إلى مجموعتين رئيسيتين، أولاهما ذات خوارق وثانيتها دون شيء من ذلك. ومن ثم فلا بد من نقد تلك الروايات للتعرف على صحتها من سقيمها، وهذا سيقود بالضرورة إلى مناقشة ما ورد في تلك الروايات من أخبار وخوارق والمأمول من هذه المناقشة مساعدة الباحث في الخروج برأي صائب حول حقيقة رحلة النبي ﷺ إلى الشام وما صاحبها من أخبار.

١: من هو الراهب بحيرا؟

أ/ بحيرا في المصادر الأصلية:

قيل هو بحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة.. وهو جرجيس وقيل: سرجيس^(١). وقيل: جرجس^(٢) وفي المصادر النصرانية والإسلامية المتأخرة فإن هذا الراهب يدعى سرجيوس^(٣). وبحيرا لقب^(٤) وقيل إن بحيرا مشتق من الآرامية بحيرا Behira ومعناه المنتخب^(٥).

وقد جاءت الإشارة إلى بحيرا في بعض المصادر العربية مقتضبة ولا تخلو من غموض أحيانا، قال عنه ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) في سياق حديثه عن من كان على دين، قبل مبعث النبي ﷺ: أنهم سمعوا قبل مبعث النبي منادياً ينادي: خير أهل الأرض ثلاثة: رثاب الشَّني وبَحيرى [بحيرا] الراهب وآخر لم يأت - يعني - النبي ﷺ^(٦).

وقال المسعودي؛ (ت: ٣٤٥هـ) إن بحيرا الراهب على دين المسيح عيسى بن مريم، واسم بحيرا في النصراني سرجس، وكان من عبد القيس^(٧). كما قيل أن بحيرا من أحبار يهود تميم^(٨).

(١) علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية (بيروت: دار المعرفة، د: ت) ٩٢/١ - ١٩٣.

(٢) علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف داغر (بيروت: دار الأندلس، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ٨٩/١.

(٣) فسنك، مادة "بحيرا" دائرة المعارف الإسلامية. (بيروت: دار المعرفة، د: ت) ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٤) الحلبي، السيرة الحلبية، ١٩٣/١.

(٥) فسنك "بحيرا" دائرة المعارف الإسلامية، ٣٩٧/١.

(٦) عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١) ص ٥٨.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ٨٩/١.

(٨) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، المغازي النبوية، تحقيق: سهيل زكار (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ص ٤٠ - ٤١.

وذكر ابن النديم (ت: ٣٨٠هـ) أن بحيرا الراهب هو أحد الذين أسلموا من أهل الكتاب على زمن الرسول ﷺ^(٩). أما القرطبي (ت: ٦٧١هـ) فذكر أن بحيرا الراهب أحد أفراد وفد كبير وفدوا على رسول الله ﷺ برئاسة جعفر بن أبي طالب، فيهم إثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام. وأن رسول الله ﷺ قرأ عليهم سورة "يس" فبكوا حين سمعوا القرآن^(١٠).

أما الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) فقد جاء في روايته عن يونس بن شهاب أن ذلك الخبر من يهود تيماء^(١١). وهكذا فالمصادر التي أشير إليها هنا تقدم للقارئ أكثر من بحيرا ومن بلدان وأقوام مختلفة فهي لم تستقر على شخص بعينه، ولم تذكر بحيرا بصري الذي طالما ذكرته بعض روايات السيرة النبوية.

ب / بحيرا في المراجع العربية الحديثة:

إن بعض المهتمين بالسيرة النبوية من العرب لم يهتموا كثيراً بأمر الراهب بحيرا، ولكنهم يذكرون مقابله للرسول ﷺ دون التوقف عند أصل ذلك الراهب ما هو؟ ومن يكون؟ ولم يحصوا أمر ذلك اللقاء وتبيان وجه الحق فيه. من أولئك الدارسين محمد الخضري بك (ت: ١٩٢٧م) قال في أثناء حديثه عن صحبة محمد لعمه إلى الشام؛ أنه أشرف على رجال القافلة وهم بقرب بصري بحيرا الراهب فسألهم عما رآه في كتبهم المقدسة من بعثة نبي من العرب في هذا الزمن، فقالوا إنه لم يظهر للآن^(١٢).

(٩) محمد بن إسحاق النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، (بيروت: دار المسيرة، ١٩٨٨م) ص ٢٤.

(١٠) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق صدقي العطار والشيخ عرفان العش (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ١٧٨٧/٣.

(١١) محمد بن أحمد الذهبي، السيرة النبوية، تحقيق حسام الدين القدسي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ص ٣٠.

(١٢) محمد الخضري بك، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (دار الفكر، د.م، د: ت) ص ص ٨-٩.

وجاء عند محمد رضا (ت: ١٩٥٠م) أن بحيرا راهباً مسيحياً في الشام وأنه نسطوري المذهب.. وكان قساً عالماً فلكياً منجماً، وأنه توفي قتيلاً بدسيسة بعض يهود أشرار^(١٣).

وقال محمد حسين هيكل (ت: ١٩٥٦م) إن محمداً التقى في هذه الرحلة بالراهب بحيرا، وأن الراهب رأى فيه أمارات النبوة على ما تدله أنباء النصرانية..^(١٤).

وعماد الدين خليل عندما تعرض لأمر الرحلة إلى الشام، قال: نلتقي برواية طرحها عدد من مؤرخي السيرة القدماء دون نقد ولا تمحيص؛ تقول إنهم لما نزلوا قريباً من بصرى دعاهم إلى الطعام راهب يدعى (بحيرى) منقطع إلى صومعته يدرس فيها التوراة والإنجيل ويعبد الله..^(١٥).

وقال جواد علي في معرض حديثه عن رحلة الشام؛ وفي بصرى أوصى راهب تسميه كتب السير بحيرى أو جرجيس أو سرجيوس أبا طالب بمحمد خيراً لما وجد عليه من النباهة والوسامة، ثم عاد به عمه إلى مكة^(١٦).

وقد تطرق محمد الغزالي إلى مقابلة محمد ﷺ لبحيرا الراهب وقال عن تلك المقابلة: "وسواء صحت قصة" بحيرا "هذه أم بطلت فمن المقطوع به أنها لم تخلف بعدها أثراً، فلا محمد ﷺ تشوّف للنبوة أو استعد لها - لكلام الراهب - ولا أصحاب القافلة تذاكروا هذا الحديث أو أشاعوه. لقد طويت كأن لم تحدث مما يرجح استبعادها"^(١٧).

وأخيراً فقد تناول محمد سعيد البوطي أمر رحلة النبي إلى الشام وقال: لما نزل الراكب

(١٣) محمد رضا، محمد رسول الله ﷺ (بيروت: دار الكتب العلمية، دت) ص ٤٣.

(١٤) محمد حسين هيكل، حياة محمد (القاهرة: دار المعارف، دت) ص ١٠٧.

(١٥) عماد الدين خليل، دراسة في السيرة (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ) ص ٣٩ - ٤٠.

(١٦) جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام: (بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٨م) ص ١٣٢.

(١٧) محمد الغزالي، فقه السيرة (دمشق: دار القلم، ١٤٠٧هـ) ص ٦٥ - ٦٦.

"بصرى" مروا على راهب هناك يقال له بحيرا وكان عليمًا بالإنجيل خبيراً بشؤون النصرانية، وهناك أبصر بحيرا النبي ﷺ فجعل يتأمله ويكلمه. ثم التفت إلى أبي طالب فقال له: "... إرجع به إلى بلده وأحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه هنا ليلبغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم..." (١٨).

وحدثنا طه حسين في كتابه "على هامش السيرة" (ت: ١٩٧٣م) بأسلوبه القصصي المتميز عن خبر لقاء الرسول ﷺ ببخيرا في أطراف الشام، وزعم أن بحيرا من أهل العراق، يسير بسيرتهم ويتكلم بلغتهم... (١٩).

من الواضح بالنسبة للمصادر الإسلامية المتقدمة أنها تضطرب إضطراباً بيناً في أصل الراهب بحيرا ومنشئه ومكان مقابله للرسول ﷺ. ويكفى أن ابن إسحاق وهو أول من ذكر خبر رحلة النبي ﷺ إلى الشام مع عمه أبي طالب لم يذكر الاسم الحقيقي لذلك الراهب بل اكتفى بذكر اللقب أي "بخيرا"!

وابن قتيبة ساق خبراً أشبه بالأسطورة ولا سند له مفاده أن بحيرا كان معروفاً قبل بعثة النبي. أما القرطبي فجعل بحيرا ضمن ثمانية من أهل الشام وجمع كبير من الأحباش وفدوا على رسول الله ﷺ برئاسة جعفر بن أبي طالب، وأن الرسول ﷺ قرأ عليهم سورة "يس" والخبر جاء دون سند وهو خبر ظاهر الضعف، حيث لم يحدد الوقت الذي قدم فيه هذا الوفد على الرسول ﷺ وأين؟ أفي مكة أم المدينة؟ ومعلوم أن سورة يس من القرآن المكي ومعلوم أيضاً أن جعفر هاجر إلى الحبشة في إبان الدعوة الجهرية ولم يعد منها إلا في سنة ٧هـ عام فتح خيبر وكان على رأس جماعة من أصحابه وبعض الأحباش المسلمين

(١٨) محمد سعيد البوطي، فقه السيرة (د: م، دار الفكر، ١٤٠٠هـ) ص ٦٤.

(١٩) طه حسين، إسلاميات: على هامش السيرة، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م) ص ٣٣٧ — ٣٤٣.

وليس ضمنهم أحد من أهل الشام كما جاء عند ابن هشام^(٢٠).

لذلك فإن رواية القرطبي لا تصمد أمام النقد. وكذلك فإن نسبة بحيرا إلى عبد القيس أو إلى تميم أو تيماء، هي إجابات لا تخرج عن دائرة الظن والتخمين. أما الدراسات العربية المعاصرة فهي لا تقل اضطراباً وتناقضاً في شأن الراهب بحيرا، فهي لا تكاد تتفق على اسمه ولا على أصله ولا حتى مكان مقابلته للرسول ﷺ على وجه دقيق، بل يظهر أن جل الدارسين للسيرة الذين تمت الإشارة إليهم في هذا البحث لم ينظروا إلى أمر رحلة الشام ومقابلة بحيرا بقدر من الجدية.

فالخضري مثلاً يقول أن الراهب بحيرا سأل رجال القافلة إن كان قد ظهر نبي من العرب في هذا الزمن! وأن رجال القافلة أجابوه بالنفي!! وهذه أول رواية من هذا النوع ولم يشر الخضري إلى مصدر روايته تلك!!

ونجد عند رضا معلومات لا توجد عند غيره ولا يذكر مصادرها وهي أن بحيرا إضافة إلى كونه راهباً فهو قساً عالماً فلكياً منجماً وأنه لقي مصرعه على يد يهود أشرار.

أما هيكل فلا رأي له في بحيرا سوى القول أن بحيرا شاهد في محمد أمارات النبوة على ما تدله أنباء النصرانية.

وعماد الدين خليل الذي ينعى على علماء السيرة من القدماء عدم تقديمهم وتمحيصهم لمرويات رحلة النبي إلى الشام وقع في الخطأ ذاته فهو نفسه لم ينقد أخبار الرحلة ولم يقيم بالتعرف على الراهب بحيرا!!

(٢٠) انظر: عبد الملك بن هشام الحميري، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وزملاؤه (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤١٧هـ)

وذكر جواد علي الأسماء المختلفة التي أطلقت على بحيرا وألح إلى المقابلة في بصرى وأن نباهة محمد ووسامته جعلت بحيرا يوصى أبا طالب بابن أخيه خيراً".

أما الغزالي فهو يرجح استبعاد حدوث القصة من أساسها ولذلك لم يكلف نفسه عناء البحث والتدقيق في أمر الراهب بحيرا وما أحاط بمقابلته للرسول من أخبار!

إضافة إلى ذلك فإنه مما يدعو للملاحظة هو أن أولئك الدارسين في السيرة الذين أشير إليهم آنفاً لم يتطرق أياً منهم لتفاصيل مقابلة بحيرا للنبي ﷺ ولا ما أحاط بالرحلة من أخبار وخوارق مما يرجح عدم قبولهم لكثير من أخبارها.

وهكذا فالروايات المتعلقة ببخيرا قديمها وحديثها متناقضة في حقيقة وجود ذلك الراهب فهي إن اتفقت على لقبه فإنها لا تكاد تتفق على اسمه ولا مكان وجوده ولا طبيعة اللقاء الذي تم بينه وبين محمد ﷺ وماذا نتج عنه.

٢: بحيرا في المراجع النصرانية قديمها والحديث:

أ/ بحيرا في المراجع القديمة:

إن المراجع النصرانية لا تقل عن المصادر الإسلامية من حيث الاختلاف والاضطراب في شخصية بحيرا حيث نجد تصورات متعارضة عن شخصيته وأثرها في شخصية محمد ﷺ الدينية وظهور الإسلام. ومن هذه التصورات على سبيل المثال لا الحصر ما كتبه جوثيل R. Gottheil في بحثه الموسوم بـ: "أسطورة بحيرا المسيحي"، "A Christian Bahira Legend" يقول جوثيل:

إن قصة الراهب بحيرا ومقابلته لمحمد جعلت أساساً لسلسلة رؤى موحى بها ونبوءات لتظهر أنه لم يكن هناك أصالة في تعاليم النبي. وأنه حُرِّضَ لممارسة هذا الاحتيال من قبل

معلمه الذي رغب من خلال هذا الطريق أن يُعرّف العرب بالإله الواحد. إنه نوع من الجدل الديني الذي ليس مستغرباً على تراث العصر الوسيط^(٢١).

ثم يضيف جوثيل بعض التفاصيل المتعلقة بأسطورة بحيرا الراهب فيقول إن هناك كتاب ينسب لـ إيشوعيب Ishoyabh، ربما يعود للقرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، ينقسم في مجمله إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول وهو أقدمها مجرد وصف بسيط لمقابلة إيشوعيب المؤلف المفترض مع بحيرا وفي هذه المقابلة يروى بحيرا لإيشوعيب سبب بقائه في بلاد العرب ورؤياه في جبل سيناء.. الخ.

والقسم الثاني من الكتاب يحتوي على مقابلة بحيرا لمحمد للمرة الأولى، ومجموعة من الأسئلة والأجوبة التي تبودلت بين الاثنين، أما القسم الثالث من الكتاب فهو سلسلة من الرؤى والتنبؤات المتعلقة بمستقبل المسلمين^(٢٢).

أما فنسنك A.J. Wensinck (ت: ١٩٣٩م) فقد كتب عن بحيرا في دائرة المعارف الإسلامية مادة ضافية، جاء فيها: أن شخصية بحيرا مذكورة باسم سرجيوس منذ عهد متقدم في المؤلفات البيزنطية، فقد ذكر كلاً من ثيوفانس Theophanes وجيرجيوس فرانتز Georgius Frantizes، أنه بعد ظهور جبريل لأول مرة وإصابة النبي بالغشيان لجأت خديجة إلى راهب ملحد منبوذ يدعى سرجيوس فطمأنها وأكد لها أن الملك جبريل يرسل لجميع الأنبياء^(٢٣).

(٢١) R.Gottheil, "A Christian Bahira Legend" Zeitschrift für Assyriologie, 13 (1898) pp. 189-242; 14 (1899), pp. 203-268; 15 (1900), pp. 56-102; 17 (1903), pp. 125-166

(٢٢) Gottheil, "A Christian ..." pp. 190-191

(٢٣) فنسنك، مادة "بحيرا" دائرة المعارف الإسلامية، ٣/٣٩٨.

مخطوطات بالعربية والسريانية عشر عليهما ريتشارد جوثيل Richard Gottheil في بعض مكتبات أوروبا^(٢٥). وهي مخطوطات متناقضة قلما تجتمع على فكرة واحدة ففي النسخة السريانية مثلاً نجد سرجيس - بحيرا - ينتسب إلى هيئة كهنوتية نسطورية، بينما النسخة العربية لا تذكر شيئاً عن مذهبه الديني ولكنها تؤكد على أنه من أهل أنطاكية^(٢٦).

كذلك بالنسبة لإسمه ففي النسخة السريانية هو: سرجيس - بحيرا - Sargis-Bahira بينما النسخة العربية تذكر اسمه بحيرا دون أية إضافة^(٢٧).

وفيما يتعلق بخبر مقابلة النبي محمد ﷺ مع بحيرا نجد مصادرهما مختلفة فراوي الخبر في النسخة العربية هو مرهب Murhib الراهب حيث قابل بحيرا في دير صحراوي ليس ببعيد عن بلاد الإسماعيليين (العرب ؟)^(٢٨).

بينما راوي خبر المقابلة في النسخة السريانية هو الراهب إيشوعيب Isho'yahb الذي بعد أن طاف في الأديرة الصحراوية المشهورة التقى بسرجيس - بحيرا - في صحراء يثرب^(٢٩). وفي موضع آخر من النسخة السريانية نجد خبراً يقول إن إيشوعيب الراهب لم يسمع قصة المقابلة من سرجيس - بحيرا - نفسه بل من تلميذه المدعو حاكم (Hakim) الذي لم يقابله إيشوعيب إلا بعد وفاة بحيرا^(٣٠)..

(٢٥) R, Gottheil, "A Christian Bahira Legend", 13 (1898) pp. 200-201

(٢٦) انظر: Sidney H. Griffith, "Muhammad and the Monk Bahira: Reflection on a Syriac and Arabic Text from

Early Abbasid Times", Oriens Christianus, 79 (1995), pp. 146-174 esp. p. 149

(٢٧) Griffith, S. "Muhammad and the Monk..." p. 149

(٢٨) Griffith, S. "Muhammad and the Monk..." p. 149

(٢٩) Griffith, S. "Muhammad and the monk..." p. 199 وانظر حول أسطورة مقابلة النبي (ص) للراهب بحيرا :

Barbra Rogema, "The Legend of Sergius-Bahira: Some remarks on its Origin in the East and its traces in the West". East and West in the crusader States, pp. 107-123 houvain: Peeters (1999)

(٣٠) انظر: Griffith, S. "Muhammad and the Monk..." p. 150

ويلقي فنسك مزيداً من الضوء على كتاب أو أسطورة إيشوعيب فيقول : إن الروايات الإسلامية الخاصة ببخيرا قد تطورت تطوراً عجبياً وجمعت كلها في سفر بحيرا ، وهو كتاب مسيحي يحتمل أنه وضع في شكله الحالي في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر للميلاد ، وهو مترجم للغتين السريانية والعربية ، ومؤلفه شخص يدعى إيشوعيب وهو ينقسم إلى ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول عن القبائل العربية التي شاهد سرجيوس (بخيرا) في جبل سيناء. الجزء الثاني ؛ عن أحاديث سرجيوس مع الشاب محمد في صحراء يثرب ، وقد ورد في هذا الجزء كيف لقن سرجيوس محمداً عقيدته وشرائعه وأجزاء من القرآن بقصد أن يجعل العرب يعترفون بإله واحد. ومن الواضح أن هذا الجزء من الكتاب يراد به إظهار محمد على أنه : "نبي كاذب تلقى وحيه من راهب ملحد" (٢٤).

إن بخيرا في هذا الكتاب الخرافي الذي أشار إليه جوثيل "Gottheil" وكذلك فنسك Wensinck قد قابل الشاب محمد في يثرب وليس في بصرى من بلاد الشام التي كثيراً ما أشارت إليه المصادر الإسلامية ، وبخيرا في كتاب إيشوعيب لا يذكر شيئاً عن علامات نبوة محمد ولا شيئاً عن الخوارق التي تذكرها بعض مصادر السيرة عند الحديث عن رحلة الصبي محمد إلى الشام ! الشيء الواضح هنا من وجهة النظر النصرانية هو التأكيد على أن : سرجيوس أو بخيرا هو الذي لقن محمداً عقيدته وشرائعه وأجزاء من القرآن ، والغاية من هذه المزاعم لا تحتاج إلى تعليق. والذي يمكن ملاحظته هنا اختلاف قراءة كل من جوثيل وفنسك لسفر إيشوعيب إذا أن كلاً منهم يعطى تفاصيل مختلفة عن الآخر.

ومعلوم أن أسطورة إيشوعيب وسرجيس بخيرا Sargis-Bahira تعود في أصلها إلى

الملاحظ أن الروايات السريانية والعربية قد اختلفت تقريباً في كل شيء فيما يتصل بالراهب بحيرا وقصة لقائه بالنبي محمد ﷺ إلا أنها لم تختلف في الزعم بأن القرآن من تأليف بحيرا^(٣١).

وهذا فيما يظهر هو الغرض الأساسي الذي تهدف له تلك الأساطير. أما لماذا؟ فيمكن تلمس الإجابة لدى جريث Griffith إذ قال: أنشئت هذه القصة المسيحية إقصاء بحيرا [بذكاء لا ينقصه احتمال الصدق حيث تقوم على المعرفة المكتسبة بالإسلام واستخدمت وسيلة أدبية للرد المسيحي على الضغط المدني والديني الإسلامي، إنها لأي القصة] تزود القارئ المسيحي ليس فقط بمعرفة الطريقة التي ظهر فيها الإسلام ومجراه التاريخي بل إنها توحى له كذلك بأن الإسلام في الحقيقة نمط من المسيحية أسوأ فهمه^(٣٢).

أما سرجيوس الذي جاء في المصادر البيزنطية التي زعمت أنه بعد ظهور جبريل لأول مرة وإصابة النبي بالغشيان لجأت خديجة إلى راهب ملحد يدعى سرجيوس فطمأنها، فمن الواضح هنا الخلط المتعمد بين شخصية بحيرا الأسطورية وكذلك شخصية سرجيوس وابن عم خديجة ورقة بن نوفل، الذي كان قد تنصر في الجاهلية وله معرفة بالتوراة والإنجيل وهو الذي بشر خديجة بنبوة محمد ﷺ^(٣٣).

وربما أن أصول أسطورة سرجيوس وعلاقته بمحمد ﷺ تعود إلى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وذلك في إشارة وردت عند البيروني (ت: ٤٤٠هـ) في كتاب: الآثار الباقية عن القرون الخالية، إذا جاء في تلك الإشارة قوله: وكذلك حكى عبد المسيح بن إسحاق الكندي النصراني عنهم في جوابه عن كتاب عبد الله

(٣١) انظر: Griffith, S. "Muhammad and the Monk..." p. 150.

(٣٢) Grittith, S. "Muhammad and the Monk..." p. 148.

(٣٣) انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (الرياض: دار السلام، ١٤١٧هـ)؛ (حديث: ٦٩٨٢).

بن إسماعيل الهاشمي" (٣٤).

هذه الإشارة الغامضة ظهرت فيما بعد بما عُرف بـ:

"رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام، ورسالة عبد المسيح إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية" (٣٥).

وقد جاء في هذه الرسالة على لسان عبد المسيح الكندي مخاطباً عبد الله الهاشمي بشأن أصل نبوة نبينا محمد ﷺ قوله: "... وذلك أنه إنما كان رجل من رهبان النصارى يعرف بسر جيوس أحدث حدثاً أنكره عليه أصحابه فحرموه وأخرجوه وقطعوه من الدخول إلى الكنيسة وامتنعوا من كلامه ومخاطبته على ما جرت به العادة بينهم في مثل هذا الضرب فندم على ما كان منه فأراد أن يفعل فعلاً يكون له به تحييص عن ذنبه وحجة عند أصحابه النصارى فسار إلى بلد تهامة فجالها حتى أفضى إلى تربة مكة فنظر البلد غالباً فيها صنفان من الديانة فكان الأكثر دين اليهود والآخر عبادة الأصنام فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك حتى استماله وتسمى عنده نسطوريوس وذلك أنه أراد بتغيير اسمه إثبات رأي نسطوريوس الذي كان يعتقد ويتدين به فلم يزل يخلو به ويكثر مجالسته ومحادثته ويلقى إليه الشيء بعد الشيء إلى أن أزاله عن عبادة الأصنام ثم صيره داعياً وتلميذاً يدعو إلى دين نسطوريوس" (٣٦).

وهذه الرسالة كما هو واضح عبارة عن محاوراة دينية جاء الزعم فيها أن أحد الهاشمين دعا مسيحياً يعرف بالكندي إلى الإسلام فرد هذا عليه، وقد اختلف في تاريخ هذه المحاوراة فمنهم من يرى أنها كانت في سنة ٢٠٤ - ٢٠٥ هـ ومنهم من يرى أنها كانت في سنة ٢١٥ هـ. ولكن نظراً لوجود الإشارة فيها إلى بعض المعلومات التي تعود إلى القرن

(٣٤) انظر: محمد بن أحمد البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق إدوارد سخاو (ليبيج، ١٩٢٣م) ص ٢٠؛ وقارن:

G.Troupeau, art "AL-Kindi, ' Abd AL-Masih" EI (Leiden: Brill, 1986 V, Pp. 120-121).

(٣٥) انظر: رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام... (مصر: ١٨٩٥م).

(٣٦) انظر: رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي، ص ٧٩.

الرابع الهجري فقد فقدت هذه المحاورة أهميتها^(٣٧). ويضيف بروكلمان C.Brockelmann (ت: ١٩٥٦م) ويبدو أنه محق في ذلك أن أسماء المؤلفين عبد الله بن إسماعيل الهاشمي وعبد المسيح الكندي اللذين ذكرهما البيروني في تاريخه يبدو أنهما مختلفان^(٣٨).

وبالرغم من ذلك فإن هذه الرسالة المشكوك في أصلها أثارت ردود فعل متباينة في الغرب النصراني وترجمت إلى اللاتينية، واتسعت دائرة تداولها في الأوساط الدينية الغربية^(٣٩). وقد شكك في صحتها فريق من المستشرقين^(٤٠).

وبغض النظر عن صحة الرسالة من عدمها إلا أن الواضح أن هدفها التشكيك بصحة نبوة الرسول ﷺ وأن أصل دينه الذي يدعو إليه أصل نصراني.

وتظهر الرسالة بجلاء محاولة كاتبها في توظيف إسمي سرجيوس ونسطوريوس اللذين ترد الإشارة إليهما في بعض مصادر السيرة النبوية المتعلقة برحلة النبي إلى الشام على أنهما اسم لراهب واحد ربما يقصد به ورقة بن نوفل الذي أشارت إليه المصادر البيزنطية المتقدمة باسم سرجيوس لأنه هو الذي طمأن خديجة وبشرها بنبوة محمد ﷺ^(٤١).

ب / بحيرا في المراجع النصرانية الحديثة:

لدينا هنا بعض وجهات نظر متعارضة فيما يتصل بمقابلة النبي ﷺ لبحيرا في بصرى

(٣٧) انظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب (القاهرة: دار المعارف، د:ت) ٣٥/٤ - ٣٧.

(٣٨) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٣٦/٤.

(٣٩) انظر: محمد عبد الواحد العسري، "من روافد الاستشراق الإسباني ومكوناته في القرون الوسطى، مجادلة عبد المسيح الكندي للإسلام بالأندلس" مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة البحرين، العدد ٩، (٢٠٠٤م) ص ٣٣٩ - ٣٦٧، وانظر للمؤلف نفسه: الاستشراق في تصورات الاستشراق الإسباني... (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٦ - ٢٠٠٣م). ص ١٣٣ - ١٥٤.

(٤٠) انظر: G. Troupeau, art, "AL-Kindi Abd AL-Masih" EI (1986) V, Pp 120-121.

(٤١) انظر: فنسك، "بحيرا" دائرة المعارف الإسلامية، ٣٩٨/٣.

وأثر بغيراً على محمد ﷺ في دعوته.

فواشنطن إيرفينغ Washington Irving مثلاً يتحدث عن لقاء النبي ببحيرا وكأنه حدث تاريخي مقطوع بصحته، فيعلق على تلك المقابلة بالقول:

"...رحب الراهب بأبي طالب وابن أخيه والبعض يسمون هذا الراهب بسرجون وآخرون ببحيرا، وآخرون يؤكدون أنهما راهبان حاورا الرسول ﷺ ودُهِش أو دهشاً من ذكائه ورغبته المعرفية التي تتضمن إرجاعات هامة خاصة في المسائل الدينية.. خاصة وأن النساطرة كانوا لا يدينون الصور فقط بل كل الشعائر المتعلقة بعبادتها وعرضها على الناس وحتى الصليب الذي كان المسيحيون يحملونه كان مداناً عندهم ومنوعاً... وهذه نقطة توافق عند البعض مع المبادئ والتقاليد المسيحية الأساسية مع الرسول ﷺ ودوره المستقبلي، ويمكن أنه صار للرسول مع هؤلاء الرهبان علاقات حوار أخرى خلال زيارته القادمة لسورية.." (٤٢).

أما غوستاف لوبون (G.Le Bonn ؛ ت : ١٩٣١) فقد أشار إلى أمر سفر النبي مع عمه إلى الشام قائلاً: "...وتقول القصة إن محمداً سافر مع عمه مرة إلى سورية، وتعرف إلى راهب نسطوري في دير نصراني وتلقى منه علم التوراة" (٤٣). وفي السياق نفسه أضاف لوبون قائلاً: أن محمداً سافر مرة ثانية في تجارة خديجة إلى الشام وتهيأ له الاجتماع مرة ثانية بالراهب الذي أطلعه على علم التوراة سابقاً (٤٤).

(٤٢) واشنطن إيرفينغ، محمد ﷺ وخلفاؤه، ترجمة ومقارنة هاني يحيى نصري، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩م) ص ١٠٢.

(٤٣) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة الحلبي، د:ت، ص ١٠٢.

(٤٤) لوبون، حضارة العرب، ص ١٠٢ - ١٠٣.

وقد نقل نيكلسون R.A, Nicholson (ت: ١٩٤٥م) رواية مقابلة النبي لبحيرا بشيء من التفصيل وعلق على ذلك بالقول: أنه حتى وقت ادعاء محمد للنبوّة، فقد كان قرشياً غامضاً، ونادراً وجود أي شيء له علاقة بمحمد قبل النبوّة يمكن اعتباره حدثاً تاريخياً ماعداً زواجه من خديجة^(٤٥).

وكذلك فإن ف. بودلي في حديثه عن رحلة النبي مع عمه إلى الشام ذكر أن الرهبان النساطرة في دير بصرى قد دعوا أبا طالب إلى طعام وقد استرعى محمد نظر بحيرا الراهب بأسئلته وتفكيره وتطلعه إلى المعرفة... فأخبره بعقيدة عيسى وسفه عبادة الأصنام.. وارهف محمد السمع إلى ما ينطق به الرجل... إنه اختزن في عقله الواعي ما قاله الراهب النسطوري، فإذا جد الجدد وجد عنده قدراً من المسيحية استغله خير استغلال^(٤٦).

وقال فرانسيسكو جابريلي Francisco Gabrieli، إن فكرة اتصال محمد بالنصارى لها أسس تاريخية حقيقية، ولا شك أن الجزء النصراني قد لعب دوراً في عقيدة التوحيد لدى محمد إثر اتصالاته التي قام بها بكل تأكيد في صباه مع الدوائر النصرانية في سوريا والصحراء^(٤٧).

ثم يردف جابريلي قائلاً: لقد ظهرت بالفعل في السيرة النبوية شخصية الراهب بحيرا الذي تنبأ بنبوّة محمد، ومهما يكن القدر الذي تحمله من الحقيقة، فإنها عبرت خلال القنوات البيزنطية إلى الغرب المسيحي وخدمت مجتمعه بصورة أكثر تأكيداً مع الشخصية النصرانية ورقة بن نوفل، قريب خديجة لتبرز الأصول النصرانية المزعومة لنبي الإسلام^(٤٨).

(٤٥) R.A, Nicholson, A literary History of the Arabs, p 148 (Cambridge Univ. Press, 1969).

(٤٦) بودلي، ف، الرسول: **حياة محمد**، ترجمة محمد فرج وعبد الحميد جودة السحار (مكتبة مصر، د:ت) ص ٣٤ — ٣٥.

(٤٧) Francisco Gabrieli, Muhammad and the Conquests of Islam. tr. from Italian by Virginia Luling and,

.Rosamund Linell (London, World Univ. Libr. 1986). P12

Gabrieli, f. Muhammad ..., P. 12 (٤٨)

وقد شكك مكسيم رودنسون (ت ٢٠٠٤م) Maxim Rodenson في موضوع رحلة النبي إلى الشام ومقابلته لبحيرا الراهب وعلق على ذلك بالقول: إنه مما لاشك فيه أن لهذه الأسطورة بعض المسوغات، فقد كان من الضروري بالنسبة لمحمد الحصول على اعتراف أحد أديان التوحيد الكبرى التي يدعى الإسلام أنه ينحدر منها^(٤٩). لذلك فقد تلقف المسيحيون هذه الأسطورة واضعين في الاعتبار أن هذا الراهب المهرطق المفترض (بحيرا) هو الذي أوحى للنبي العربي بهذا الدين وذلك ليحرموا محمد من كل أصالة دينية^(٥٠).

أما منتجمري واط (M.Watt) فينظر إلى قصة النبي وبحيرا الراهب أنها قصة مبنية على أفكار بدائية، فهي من ذلك النوع القصصي الذي يتوقع المرء أن يجده بين أقوام ينظرون إلى الكتابة على أنها شيء مماثل للسحر، ولذلك فإن أهمية هذه القصة أنها تعكس نظرة المسلم الشعبية تجاه محمد، أي أنه الرجل الذي ظهرت عليه منذ ولادته علامات ومزايا خارقة للطبيعة^(٥١).

وبعد مناقشة كارين أرمسترونج (Karen Armstrong) ما قيل عن ذهاب النبي محمد مع عمه إلى الشام، قالت: "... وبما أنه قد حدث خلط بين إسم ذلك الراهب "بحيرا" واللفظ السرياني Bhira ويعني المبجل، سيدعى الأعداء المسيحيون أن بحيرا، هو الذي علمَ محمداً ما أسموه: الهرطقة المحمدية" Muhammadanism^(٥٢).

وهكذا فكما اختلف الدارسون الغربيون في أصل بحيرا ومنشئه فإن هذه العينة من كتابات بعض المستشرقين المحدثين تظهر قدراً من التفاوت بينهم في أصل بحيرا وحقيقة مقابلته للنبي ﷺ وكذلك مدى تقييمهم للأثر الديني الذي تركه لقاء بحيرا بالنبي محمد

(٤٩) Rodinson, Maxim. Muhammad, tran. from French by Anne Carter, Penguin books, 1971, Pp. 47-48

(٥٠) Rodenson, M. Muhammad, P. 48

(٥١) Watt, M. Muhammad, Prophet and Statesman (Oxford Univ. Press, 1980). P. 2

(٥٢) كارين أرمسترونج، **سيرة النبي محمد**، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني (١٩٩٨م) ص ١٢١ - ١٢٢.

وعندما تناول بودلي أمر لقاء النبي محمد ببخيرا في بصرى فقد أكد على أن بخيرا أخبر محمداً بعقيدته في عيسى بن مريم وسفه عبادة الأصنام.. وأن محمداً اختزن في عقله الواعي ما قاله الراهب النسطوري فإذا جد الجد وجد عنده قدراً من المسيحية استغله خير استغلال. من الواضح أن الذي يرمي إليه بودلي من هذه التلميحات هو القول إن الإسلام قام على أساس النصرانية وأن الفضل في ذلك يعود للراهب النسطوري في بصرى، وواضح أن مثل هذا الزعم لا يحتاج إلى تفنيد فمتى قامت ديانة كبرى كالإسلام على مجرد لقاء عابر بين صبي وراهب تحدثا فيه على مائدة الطعام.

أما فرانسيسكو جابريلي، فهو حقيقة لا ينكر اتصال النبي في صباه مع نصارى سوريا واتصاله بالراهب بخيرا وإن كان يشكك في تفاصيل ذلك اللقاء، ويؤكد في الوقت نفسه على أن تلك الحقيقة عبرت من خلال البيزنطيين إلى الغرب المسيحي وخدمت مجتمعه بصورة أكثر فاعلية مع شخصية ورقة بن نوفل لتبرز الأصول النصرانية المزعومة لنبي الإسلام. إن جابريلي يحاول هنا أن يبين للقارئ النظرة الغربية للإسلام أي أنه يعود بأصوله إلى النصرانية.

ويظهر أن مكسيم رودنسون يتفق مع ما ذهب إليه جابريلي، فهو يشكك في مقابلة محمد للراهب بخيرا، ويقول إن المسيحيين تلقفوا أسطورة لقاء محمد بذلك الراهب الملحد وأنه هو الذي أوحى للنبي العربي بذلك الدين ليحرموا محمد من كل أصالة دينية.

وكذلك فإن كارين آرمسترونج تُنكر على المسيحيين زعمهم بأن بخيرا هو الذي علّم محمداً ما أسموه: الهرطقة المحمدية Muhammadanism. أما نيكلسون فعند حديثه عن رحلة محمد إلى الشام فإنه يلقي ظللاً كثيفاً من الشك حول أحداث تلك الرحلة ويقول: لا نجد في حياة محمد قبل إدعاء النبوة أي حدث له قيمة تاريخية ماعدا زواجه من خديجة؟

كما أن منتجمري واط نظر إلى حديث الرحلة على أنه قصة ذات أفكار بدائية تعكس

ومستقبل رسالة الإسلام.

فواشنطن إيرفنج يسلم بصحة ذلك اللقاء ويظن أن محمداً التقى بأكثر من راهب في بصرى وأنه ناقش معهم الكثير من المسائل المعرفية الدينية وأن هذا الفريق من الرهبان النساطرة لا يدينون الصور فقط بل حتى الصليب الذي يحمله المسيحيون وأن هذه الأفكار وجدت قبولاً من الرسول ودوره المستقبلي.

هذه المحاولة لإظهار أثر النصرانية في تكوين النبي محمد ﷺ ومستقبل الإسلام ليس لها في واقع الأحداث ما يعضدها، فالنبي ﷺ عندما صحب عمه أبي طالب إلى الشام كان حسب الرواية الإسلامية ما بين التاسعة والثانية عشرة من العمر ولم يكن لديه أدنى تصور عن النصرانية ودور الصور أو الأيقونات في الشعائر النصرانية ولا كذلك الصليب وما يرمز إليه. ثم إن جميع الروايات الإسلامية تقريباً التي ذكرت أمر لقاء النبي ﷺ بالراهب تنص على أنه راهب واحد وأن اسمه بحيرا وبعضها يكتفي بالقول أنه راهب يهودي أو نصراني دون ذكر اسم، ولا إشارة فيها للنساطرة أو المذهب النسطوري.

وكذلك فإن لوبون يكاد تقريباً يتفق مع واشنطن إيرفنج في تقدير الأثر الديني الذي تركه لقاء بصرى في دعوة محمد إذ أنه حسب رؤية لوبون قد التقى في سورية [بصرى؟] براهب نسطوري وتلقى منه علم التوراة بل إن محمداً في رحلته الثانية في تجارة خديجة إلى الشام تهيأ له الاجتماع ثانية بذلك الراهب.

وعلى فرض صحة ذلك اللقاء وما أسفر عنه من تلقي الصبي محمد - ذي الاثني عشر عاماً - لعلم التوراة، إلا أن لوبون لم يبين ما قدر ذلك العلم الذي أخذه محمد من التوراة ولا عن المدة التي أمضاها لدى ذلك الراهب حتى يتيسر له أخذ علم التوراة منه ؟! (٥٣).

نظرة المسلم الشعبية تجاه محمد أي أنه الرجل الذي ظهرت عليه منذ ولادته علامات ومزايا خارقة للطبيعة.

وهكذا وكما يلاحظ القارئ غياب الموضوعية والمنهج العلمي عند بعض الدارسين الأوروبيين في معالجتهم لإحدى قضايا السيرة النبوية إذ أنهم يتلقفون الأخبار الضعيفة والروايات المدسوسة دون نقد أو تحييص ويقدمونها للقارئ وكأنها حقائق لا تقبل الشك!!

٣: ما دير بحيرا وصومعته ؟

إن المتأمل في الروايات التاريخية سواء منها ذات الخوارق أو التي لم تذكر شيئاً منها يلاحظ أنها في معظمها تشير إلى دير الراهب بحيرا في بصرى وأحياناً تذكر شيئاً آخر وهو الصومعة أي صومعة بحيرا، ومع اختلاف هذه المسميات العامة التي أطلقت على أماكن العبادة والتأمل إلا أنه يكاد يكون من النادر العثور على مسمى بعينه يحدد بدقة إسم الدير أو الصومعة إذ أنها تأتي في المصادر مضافة إلى الراهب. وقد شذ ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ) عن هذه القاعدة إذا أشار إلى ثلاثة أديرة منسوبة إلى ثلاثة مواضع لم يرد ذكرها في مصادر السيرة النبوية، وهذه الأديرة هي:

دير الباعقي، من أرض حوران، وهو دير الراهب بحيرا صاحب القصة مع رسول الله ﷺ^(٥٤). ودير بُصرى، وبُصرى بليدة بحوران، وهي قصبة الكورة من أعمال دمشق، وبه كان بحيرا الذي بشر بالنبي ﷺ^(٥٥). ودير نجران، بأرض دمشق من نواحي حوران

(٥٤) انظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر ودار بيروت، دت) ٤٩٩/٢.

(٥٥) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ٥٠٠/٢.

ببصرى وإليه ورد النبي ﷺ وعرفه الراهب بحيرا في القصة المشهورة^(٥٦).

اللافت للنظر أنه لا توجد إشارة لهذه الأديرة السالفة الذكر في المصادر التي تحدثت عن الديارات بصورة مخصوصة مثل كتاب الديارات للشابشتي^(٥٧) (ت: ٣٨٨هـ) ولم يرد شيء كذلك عند الأصفهاني (ت: ٣٦٥هـ) في كتابيه الأغاني والديارات اللذين أشار فيهما إلى عدد كبير من الأديرة في العراق والشام^(٥٨).

يضاف إلى هذا أن الدراسة القيمة التي أنجزتها سلوى بالحاج عن المسيحية العربية وتطوراتها والتي تحدثت فيها بشكل مفصل تقريباً عن النصرانية في الشام، وذكرت فيها أسماء بعض الأديرة وأشارت كذلك إلى أسماء بعض الرهبان إلا أنها لم تذكر شيئاً على الإطلاق عن الراهب بحيرا ولا عن الأديرة والصوامع التي نسبتها إليه بعض مصادر السيرة ولا كذلك الأديرة التي نسبها له ياقوت الحموي^(٥٩). هذه المعطيات مجتمعة تلقى بظلال من الشك كثيفة على أصل صومعة بحيرا وأديرته في الشام. بل وعلى وجود بحيرا نفسه.

٤ : لقاء النبي ﷺ مع بحيرا في المصادر الإسلامية :

وكما اختلفت المصادر الإسلامية والنصرانية في الراهب بحيرا من حيث أصله ومنشئه اختلفت كذلك في تفاصيل مقابله للنبي ﷺ. لذلك فإن البحث هنا سينصب على الروايات الإسلامية التي نقلت لنا وقائع تلك المقابلة ومن ثم المقارنة بينها ومحاولة وضع ذلك اللقاء

(٥٦) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ٥٣٩/٢.

(٥٧) انظر: علي بن حمد الشابشتي، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، (بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠٦هـ).

(٥٨) انظر: علي بن الحسين، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق عبد علي مهنا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، انظر الفهارس، ٥٤٧/٢٧ — ٥٤٨؛ الديارات، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق جليل العطية (لندن وقبرص، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩١م).

(٥٩) انظر: سلوى بالحاج صالح، المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

(بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٧م) ص ٢٦ — ٤٥.

إن صح في إطاره التاريخي.

إن الروايات الإسلامية المتعلقة بذلك الحدث تنقسم فيما بينها إلى مجموعتين

رئيسيتين :

أ/ المجموعة الأولى : ذات خوارق.

ب/ المجموعة الثانية : دون خوارق.

أ/ **مضمون روايات المجموعة الأولى (روايات ذات خوارق) :**

رواية ابن إسحاق :

سيتناول البحث أولاً مضمون الروايات ذات الخوارق ، ويأتي على رأس تلك الروايات رواية ابن إسحاق (ت : ١٥١هـ) التي رواها تلميذه يونس بن بكير (ت : ١٩٩هـ). ومفادها : أن الرسول ﷺ ذهب مع عمه أبي طالب في تجارته إلى الشام. فلما نزل الركب في بصرى من أرض الشام نزلوا قريباً من صومعة الراهب بحيرا الذي بالغ في إكرامهم على غير عادة منه لأنه أبصر غمامة تظل رسول الله من بين القوم وعندما نزل الركب نظر الغمامة وقد أظلت الشجرة التي استظل رسول الله ﷺ تحتها. ثم إن الراهب طلب من القوم جميعاً حضور الوليمة وقد تخلف محمد في رحال القوم ، ولكن بحيرا أصر على حضوره الطعام. وحضر محمد أخيراً. وبعد الطعام أخذ الراهب يسأله عن أحواله في نومه ويقظته ، ثم نظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم سأل عن وليه فأخبره أبو طالب عن أمره ، فطلب منه الراهب العودة به سريعاً إلى بلده وحذره من اليهود فعاد أبو طالب بابن أخيه بعد أن فرغ من تجارته ، وقد جاء جماعة من أهل الكتاب ، زبير وتمام ودريس يبغون الشر بمحمد ولكن بحيرا ردهم عنه.

كما أن الرواية اشتملت على أكثر من أربعين بيتاً من الشعر الركيك نسبت إلى أبي

طالب يمتدح فيها محمد ﷺ ويشني كذلك على بحيرا الراهب لحمايته لمحمد من شر النفر
الكتابين^(٦٠).

وجاء في رواية ابن هشام (ت: ٢١٨هـ) عن ابن إسحاق:

إن الرسول ﷺ ذهب مع عمه أبي طالب مع ركب قريش في تجارة إلى الشام. ولما
وصلت قافلة قريش إلى بصرى في الشام شاهد الراهب بحيرا وهو في صومعته غمامة تظل
النبي ﷺ من بين القوم. ولما حط القوم عن رحالهم جلس النبي ﷺ في ظل شجرة
فتحصرت أغصانها عليه، وأمام هذه المعجزة نزل الراهب من صومعته وصنع طعاماً لأهل
القافلة، وتخلف النبي عن حضور الوليمة وبقي في حراسة القافلة وأمام إصرار الراهب
على حضور جميع رجال القافلة أحضر محمد، وبعد الطعام أخذ الراهب يسأله عن بعض
أحواله في النوم واليقظة، ثم إن الراهب نظر في ختم النبوة بين كتفي محمد ومن ثم طلب
من وليه أي عمه أبي طالب العودة بأبن أخيه مسرعاً إلى الحجاز بعد أن فرغ من تجارته.

وفي السياق نفسه يذكر ابن إسحاق أن ثلاثة من أهل الكتاب وهم: زبير وتمام
ودريس أرادوا الشر بمحمد ولكن بحيرا نجح في ردهم عما هموا به.

رواية عبد الله بن أبي بكر:

هذه الرواية نقلها الطبري بسنده عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر^(٦١) (ت:

(٦٠) انظر: محمد بن إسحاق، **السير والمغازي**، تحقيق سهيل زكار، (دمشق: دار الفكر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) ص
٧٣ - ٧٨، وقارن: ابن هشام الحميري، **السيرة النبوية**، ٢١٧/١ - ٢١٨.

(٦١) هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري (ت: ١٣٥هـ) وله من العمر سبعون سنة، قال عنه ابن معين
وأبو حاتم ثقته وقال النسائي: ثقة ثبت وقال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث عالماً. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن عبد البر:
كان من أهل العلم ثقة فقيهاً محدثاً مأموناً حافظاً وهو حجة فيما نقل وحمل. انظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **تهذيب**
التهذيب، تحقيق خليل مأمون شيحا وآخرون (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) ١٠٣/٣ - ١٠٤.

١٣٥هـ) ومضمونها: أن النبي ﷺ خرج مع عمه أبي طالب في تجارة إلى الشام وفي بصرى أقام الراهب بحيرا وليمة لأصحاب القافلة لأنه أبصر الغمامة تظلل النبي ﷺ من بين القوم وأن الغمامة ظللت الشجرة التي آوى إليها النبي وقد تهصرت أغصانها عليه، وقد حضر النبي المأدبة مع قومه، وقد سأله الراهب عن أحواله في نومه ويقظته، ونظر إلى خاتم النبوة بين كتفي النبي ﷺ، وأخيراً فقد نصح الراهب أبا طالب أن يعود بابن أخيه إلى بلده خوفاً عليه من اليهود، وخرج به عمه مسرعاً إلى مكة^(٦٢).

رواية أبي بكر بن أبي موسى الأشعري^(٦٣) (ت: ١٠٦هـ):

وردت هذه الرواية لدى الترمذي في سننه عن عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح المشهور بقراد^(٦٤) عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه، وهي تتضمن: خروج النبي ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام في أشياخ من قریش، فلما أشرفوا على الراهب وحلوا رحالهم خرج إليهم الراهب فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين... فسأله الأشياخ كيف عرف ذلك؟ فقال لهم الراهب: حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا لنيبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة.

ثم إن الراهب صنع لهم طعاماً فلما أحضره إليهم وجد محمداً في رعية الإبل، قال:

(٦٢) انظر: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، د: ت) ٢٧٧/٢ - ٢٧٨.

(٦٣) أبو بكر بن أبي موسى الأشعري، توفي سنة ١٠٦هـ أختلف في سماعه عن أبيه أبي موسى، وثقة العجلي وقال عنه ابن سعد كان قليل الحديث يستضعف. انظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٣٠٢/٦.

(٦٤) عبد الرحمن بن غزوان: الخزاعي ويقال الضبي، أبو نوح المعروف بقراد، سكن بغداد وتوفي سنة ١٨٧هـ وثقه بعض رجال الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان يخطئ.. انظر: العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٣٨٥/٣ - ٣٨٦.

أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله.. ووجد القوم سبقوه إلى فئ الشجرة، فلما جلس مال فرع الشجرة عليه، فقال انظروا إلى فئ الشجرة مال عليه، وطلب من القوم ألا يذهبوا بمحمد إلى الروم لأنهم إن عرفوا صفته قتلوه، وفي هذه الأثناء قدم سبعة من الروم يريدون الشر بمحمد فمازال بهم الراهب حتى ردهم ثم قال الراهب: أنشدكم الله أيكم ولي أمر محمد، قالوا: أبو طالب فناشده الراهب أن يرده إلى بلده، فرده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالاً وزوده الراهب من الكعك والزيت^(٦٥).

رواية الواقدي (ت: ٢٠٧هـ):

جاء في كتاب فتوح الشام المنسوب للواقدي رواية عن لقاء النبي ﷺ ببجيرا نقلاً عن رجل يدعى باسيل كان قد قرأ الكتب السالفة وأخبار الماضين، وحسب هذه القصة فقد كان باسيل في زيارة لبحيرا الراهب عندما قدمت غير قريش وجمال خديجة بنت خويلد وفيها رسول الله، فلما نظر بجيرا إلى القافلة رأى في وسطها السحابة تظل رسول الله من حر الشمس، قال: هذه والله صفة النبي الذي يبعث من تهامة. فلما نزل الركب، نزل رسول الله وحده تحت شجرة يابسة فأورقت الشجرة بين يدي رسول الله، فلما عاين بجيرا ذلك صنع لقريش طعاماً فاستدعاهم فدخلوا الدير وبقي محمد في رعاية الإبل، فلما لم يجده بجيرا مع القوم على الطعام أصر على إحضاره وقال: يا قريش هو والله سيدكم وبه يعظم

(٦٥) انظر: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، **الجامع الصحيح**، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة (القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ٥٩٠/٥ — ٥٩١.

قال الترمذي عن هذا الحديث: "حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه". الموضع نفسه؛ وانظر هذه الرواية منقولة عن الترمذي في المصادر التالية:

تاريخ الطبري ٢٧٨/٢، ٢٧٩. **تهذيب تاريخ دمشق** ٢٦٨/١، ٢٦٩، **المستدرك للحاكم** ٦١٥/٢، ٦١٦ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي في تلخيصه: الحديث بطوله في البخاري ومسلم، وأظنه موضوعاً فبعضه باطل ٦١٥/٢، الروض الأثف ٢٠٧/١. انظر: **السيرة النبوية للذهبي**، ص ٥٧ — ٥٨.

في الدنيا مجدكم. قالوا: من أين علمت ذلك ؟ قال: لما أشرفتم عليّ من البرية لم يبق صخر ولا مدر إلا خرّ له ساجداً^(٦٦).

رواية البلاذري (ت: ٢٧٩هـ):

عندما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب في تجارة إلى الشام، فأبصره بحيرا الراهب وقد أظلمت غمامة فسأل أبو طالب عن علاقته بالغلام فأخبره أنه ابن أخيه، فقال له: أما ترى هذه الغمامة كيف تظله وتنتقل معه والله إنه لنبي كريم وإنني لأحسبه الذي بشر به عيسى، وينبغي لك أن تحتفظ به فردّه أبو طالب إلى مكة^(٦٧).

رواية المسعودي (ت: ٣٤٥هـ):

في حديث المسعودي عن أهل الفترة ذكر منهم بحيرا الراهب، وقال إنه على دين المسيح واسم بحيرا في النصارى سرجس، وكان من عبد القيس وأن رسول الله ﷺ خرج مع عمه أبي طالب في تجارة إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة وكان يصحبهم أبو بكر وبلال فلما مروا ببخيرا في صومعته، عرف رسول الله ﷺ بصفته ودلائله، ونظر إلى الغمام تظله حيثما جلس، فصنع بحيرا للقوم طعاماً ونظر إلى خاتم النبوة بين كتفي رسول الله ﷺ وآمن بالنبي وأعلم أبا بكر وبلالاً بقصته، وسأل أبا طالب أن يرجع به من وجهه وحذرهم عليه من أهل الكتاب وأخبر عمه أبا طالب بذلك فرجع به. فلما رجع من سفره ذلك كان بدء قصته مع خديجة وما أظهر الله لها من دلائل نبوته^(٦٨).

(٦٦) محمد بن عمر الواقدي، فتوح الشام (بيروت: دار الجليل، د:ت) ٣٣/٢ - ٣٤.

(٦٧) أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، (القاهرة: دار المعارف، د:ت) ٩٦/١ - ٩٧.

(٦٨) المسعودي، مروج الذهب...، ٨٩/١ - ٩٠.

رواية أبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ):

ذكر الأصبهاني في دلائل النبوة خبراً طويلاً عن خروج رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام، وهو ابن عشر سنين وأن الركب مرّ ببصرى الشام وبها راهب يقال له بحيرا، وأنه صنع للركب طعاماً، لأنه رآهم حين طلّعوا وغمامة تظل رسول الله ﷺ من بين القوم، وأنهم عندما نزلوا تحت الشجرة فإن الغمامة أظلت الشجرة فاخضرت أغصانها على النبي ﷺ فدعاهم الراهب للطعام وتخلّف رسول الله ﷺ في رحال القوم لأنه أصغرهم سناً، ولكن الراهب أصّر على وجوب حضور محمد الطعام فقام الحارث بن عبد المطلب^(٦٩) فأحضره والغمامة تسير على رأسه وانقلعت الشجرة من أصلها حين فارقتها رسول الله ﷺ. وبعد الطعام سأل الراهب محمداً بالآلات والعزى فقال له: لا تسألني بمقهما فما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فسأله عن أحواله في نومه ويقظته وسأل عن حمرة عينيه ثم طلب منه أن ينزع عنه الجبة فنظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة^(٧٠).

ثم إن الراهب سأل أبا طالب ما يكون هذا الغلام منه فأخبره، فقال الراهب لأبي طالب إرجع بابن أخيك إلى بلدك وأحذر عليه اليهود.. فإنه كائن لابن أخيك شأن عظيم نجده في كتبنا وما ورثنا من آبائنا^(٧١).

(٦٩) هو الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وبه كان يكنى، وهو أكبر ولده، وأمه صفية بنت جندب بن حجير، وتوفي الحارث قبل عام الفيل بخمس سنين. انظر: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ٧٩/١، ٩٠.

(٧٠) زر الحجلة: في صفة خاتم النبوة "إنه مثل زر الحجلة" الزر واحد الأزرار التي تشد بها الكليل والستور على ما يكن في حجلة العروس. انظر: المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ٣٠٠/٢؛ محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، د:ت) مادة "زرر". لقد جاء في **دلائل النبوة** للبيهقي أكثر من عشرين وصفاً مختلفاً لخاتم النبوة ويحسن الرجوع إلى ذلك، ٢٥٩/١ - ٢٦٧.

(٧١) أحمد بن عبد الله الأصبهاني، أبو نعيم، **دلائل النبوة** (بيروت: عالم الكتب، د:ت) ص ١٠٩ - ١١٢. وقارن:

رحلة النبي ﷺ إلى الشام ومقابلة الراهب بحيرا "قراءة نقدية"

وجاء خبر الرحلة كذلك عند بعض المؤرخين المتأخرين مثل :

ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ):

وردت قصة رحلة النبي ﷺ مع عمه إلى الشام لدى ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) في غاية الاختصار، فقال: وحمله عمه أبو طالب إلى الشام وهو ابن ثلاث عشرة سنة أو ابن سبع عشرة، فمروا ببخيرا الراهب عند بصرى، فعاين الغمامة تظله والشجر يسجد له، فدعا القوم فأخبرهم بنبوته وبكثير من شأنه في قصة له مشهورة^(٧٢).

والمقريزي (ت: ٨٤٥هـ):

جاء عند المقريزي في إمتاع الأسماع أن أبا طالب خرج بمحمد ﷺ إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام، وقيل ابن تسع سنين فبلغ به بصرى لعشر خلون من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من عام الفيل. فرأى أبو طالب ومن معه من آيات نبوته ﷺ من تظليل الغمام له وميل الشجرة بظلها عليه، وبشر به بحيرا الراهب [واسمه سرجس بن عبد القيس] وأمر أبا طالب أن يرجع به لثلاث تراه اليهود فيرمونه بسوء^(٧٣).

نقد الروايات:

يأتي على رأس هذه الروايات رواية يونس بن بكير عن أستاذه محمد بن إسحاق، وهي رواية مرسلة، ولم يأت فيها ذكر لسن النبي ﷺ وقت الرحلة إلى الشام، ويلاحظ كذلك أن لفظ زعموا أو فيما يزعمون ورد في هذه الرواية أربع مرات ولا يخفى أن هذه الصيغة صيغة تمرّض أي تضعيف للخبر. وورد في الرواية أيضاً ثلاثة وأربعين بيتاً من الشعر

أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعبجي. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ٢٤/٢ - ٢٩.

(٧٢) عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار (دمشق: دار الفكر، ١٤٠١هـ/٢٠٠٨).

(٧٣) أحمد بن علي المقريزي، إمتاع الأسماع، تحقيق محمود محمد شاكر (دون معلومات نشر) ص ٨.

الريك منسوبة لأبي طالب يثني فيها على موقف بحيرا من محمد ﷺ ، ويذكر فيها كذلك شأن ذلك نفر من الكتائبين الذين تأمروا على حياته وموقف بحيرا الراهب تجاههم.

أما رواية ابن هشام عن ابن إسحاق فيما يتصل برحلة النبي ﷺ إلى الشام فهي كبيرة الشبه برواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق وهي كذلك رواية مرسلّة ، وليس فيها ذكر لسن النبي ﷺ وقت الرحلة ، وقد وردت فيها صيغة التمريض ست مرات مقارنة برواية يونس التي وردت فيها تلك الصيغة أربع مرات. ثم إن الشعر المنسوب لأبي طالب الذي ورد في رواية يونس لا نجد له أثراً في رواية ابن هشام عن ابن إسحاق ، ولعل ذلك الشعر أشكل على ابن هشام قبوله.

وفيما يتعلق برواية عبد الله بن أبي بكر التي نقلها الطبري بسنده عن ابن إسحاق فهي مرسلّة كذلك وتشبه في كثير من الوجوه رواية ابن إسحاق عند ابن هشام وتختلف عنها في بعض الأوجه ومنها ؛ أن النبي ﷺ كان ضمن من حضر وليمة الراهب ولم يكن متخلفاً في رحال القوم كما نجد في الروایتين السابقتين. ولا يوجد في هذه الرواية أي إشارة لآلات والعزى التي أقسم بهما بحيرا في الروایتين السابقتين أي رواية ابن هشام عن ابن إسحاق وكذلك رواية يونس عن أستاذه ابن إسحاق. ولا وجود كذلك للشعر المنسوب لأبي طالب في رواية يونس بن بكير. أما لفظة : يزعمون أو زعموا فلم ترد في هذه الرواية سوى مرتين ، وذكرت هذه الرواية أن عمه أبي طالب عاد به مسرعاً إلى مكة بينما تذكر الروايات السابقة أنه عاد به بعد أن فرغ من أمر تجارته.

وكذلك رواية أبي بكر بن أبي موسى الأشعري التي أوردها الترمذي بسنده عن عبد الرحمن بن غزوان المشهور بقراد فإنها رواية ظاهرة الضعف وذلك من ناحية المتن على الأقل فهي علاوة على ذكرها سجود الشجر والحجر للنبي ﷺ حينما أقبل على بصرى

وتظليل الغمامة له وتهصر الشجرة بظلها عليه إلا أن في متنها نكارة وأشد من هذا كله أن أبا بكر وبلال كانا مرافقين للنبي في رحلته إلى الشام حين كان طفلاً. واللافت للنظر في هذه الروايات جميعها تأكيداً على تغيب محمد ﷺ عن حضور مائدة بحيرا لأنه مشغول برعية الإبل وكأن قافلة قريش خلواً من الرعاة والحراس والأعوان!!

وقد استنكر ابن سيد الناس (ت: ٧٣٤هـ) هذا الحديث وقال:

"... ففي متنه نكارة وهي إرسال أبي بكر مع النبي ﷺ بلالاً ، وكيف وأبو بكر حينئذٍ لم يبلغ العشر سنين فإن النبي أسن من أبي بكر بأزيد من عامين ، وكان للنبي ﷺ تسعة أعوام على ما قاله أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وغيره أو اثنا عشر على ما قاله آخرون ، وأيضاً فإن بلالاً لم ينتقل لأبي بكر إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاماً..." (٧٤).

وقد علق الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) على هذه الرواية وفند الكثير مما جاء فيها من مزاعم

فقال:

"... وهو حديث مُنكر جداً؛ وأين كان أبو بكر؟ كان ابن عشر سنين ، وأصغر من رسول الله ﷺ بستين ونصف ؛ وأين كان بلال في هذا الوقت؟ فإن أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث ، ولم يكن وُلد بعد ؛ وأيضاً ، فإذا كان عليه غمامة تُظله كيف يُتصوّر أن يميل فيء الشجرة؟ لأن ظلّ الغمامة يعدم فيء الشجرة التي نزل تحتها ، ولم نر النبي ﷺ ذكر أبا طالب قط بقول الراهب ، ولا تذاكرته قريش ، ولا حَكَّته أولئك الأشياخ ، مع توفر همهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك ، فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار ، ولبقي عنده ﷺ حس من النبوة ؛ ولما أنكر مجيء الوحي إليه ، أولاً بغار حراء وأتى خديجة خائفاً على عقله ، ولما ذهب إلى شواحق الجبال ليرمي نفسه ﷺ. وأيضاً فلو أثر هذا الخوف في أبي

(٧٤) محمد بن محمد بن سيد الناس ، عيون الآثار في فنون المغازي والسير ، (بيروت: دار المعرف ، د: ت) ٤٣/١.

طالب ورده ، كيف كانت تطيب نفسه أن يمكنه من السفر إلى الشام تاجراً لخديجة؟" (٧٥).

ويظهر جلياً أن ابن كثير (ت : ٧٧٤هـ) يتفق في نقده لرواية أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عند الترمذي مع من سبقه من علماء الحديث مثل ابن سيد الناس وكذلك الذهبي ، فقال :

"... قلت فيه من الغرائب ؛ أنه من مرسلات الصحابة ، فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم سنة خبير سنة سبع من الهجرة... وعلى كل تقدير فهو مرسل... الثاني : أن الغمامة لم تذكر في حديث أصح من هذا. الثالث : أن قوله وبعث معه أبو بكر بلالاً. إن كان عمره عليه الصلاة والسلام آنذاك اثنتي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشر وعمر بلال أقل من ذلك ، فأين كان أبو بكر إذ ذاك؟ ثم أين كان بلال؟ كلاهما غريب... " (٧٦).

وكذلك فإن ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) تتبع هذه الرواية وأنكر بعضاً مما جاء فيها ، إذ قال :

"... فيها لفظة منكرة وهي قوله وأتبعه أبو بكر بلالاً ، وسبب نكارتها أن أبا بكر حينئذ لم يكن متأهلاً ولا اشترى يومئذ بلالاً.. ثم يستدرك قائلاً :

إلا أن يُحملَ على أن هذه الجملة الأخيرة منقطة من حديث آخر أدرجت في هذا الحديث وفي الجملة هي وهم من أحد رواة... " (٧٧).

(٧٥) الذهبي ، السيرة النبوية ، ص ٢٨.

(٧٦) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، (القاهرة : دار هجر ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ٣/ ٤٤٠ - ٤٤١.

(٧٧) انظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة وبها مشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر النمري القرطبي نسخة مصورة عن الطبعة الأولى ، مطبعة دار السعادة بمصر (١٣٢٨هـ) تصوير دار صادر ، ١٧٦/١ - ١٧٧.

اللافت للنظر هنا أن وجه النكارة عند العسقلاني في هذا الحديث محصور في ورود اسمي أبي بكر الصديق وبلال بن رباح في خبر الرحلة ، ثم حاول أن يدفع هذا الإشكال باحتمال أن هذا الجزء من الحديث منقطع من حديث آخر أدرج في هذه الرواية وهذا أمر مستبعد. أما فيما يتعلق بما قيل عن سجود الشجر والحجر لمحمد وكذلك تظليل الغمامة له وميل فيء الشجرة عليه ، فكلها أمور مسلم بصحتها لدى ابن حجر على ما يظهر إذ أن تلك الخوارق للطبيعة ونواميسها لم تثر لديه أي تساؤل !!

وقد علق أحد الدارسين المحدثين للسيرة النبوية والمهتمين بتوثيقها حديثاً على وجود النكارة في الجزء الأخير من حديث الترمذي بقوله :

"... وعلى أية حال فإن وجود النكارة في الفقرة الأخيرة لا يعني ضعف سائر الرواية ما دام السند صحيحاً... أما قول الذهبي في قراد أن "له مناكير" فذلك لا يؤثر في توثيقه لأن الثقة قد تقع في روايته المناكير ، ويحتمل منه ذلك إذا لم يكثر منها. أما توسع الذهبي في رد سائر الرواية... فلا مبرر له" ^(٧٨) والعمرى في قبوله لهذه الرواية حتى لو كانت عمن له مناكير إذا لم يكثر منها ، لم يتوقف عند ظاهرة سجود الشجر والحجر لرسول الله ﷺ ولا كذلك الغمامة ولا تظليل الشجرة له ، ولم يتساءل كذلك عن موقف الذين كانوا في القافلة من قريش ألم يشاهدوا تلك الخوارق ، ألم ينشروا أخبارها في مكة ؟ ثم هو لم يتساءل عن سبب صمت الرواية عن اسم ذلك الراهب ولا عن المكان الذي التقى فيه بالرسول ﷺ وقافلة قريش بالشام !

ومن اللافت للنظر كذلك في هذا الموضوع أن أبا نعيم الأصبهاني (ت : ٤٣٠هـ) عندما أورد رواية أبي بكر بن أبي موسى لم يشر لأبي بكر ، بل قال " ... فلم يزل يناشده

(٧٨) نظر : أكرم ضياء العمرى ، السيرة النبوية الصحيحة ، ١٠٧/١ - ١١١ .

— أي الراهب — حتى رده أبو طالب وبعث معه بلالاً... " (٧٩).

وهكذا فإن رواية الترمذي التي تُعدُّ أقوى ما جاء في أمر رحلة النبي ﷺ مع عمه إلى الشام من حيث السند على الأقل لم تسلم من المآخذ ولم تصمد أمام النقد، بل إن محقق البداية والنهاية لابن كثير، قال: "مع أن بعضهم قد ضعَّف أحاديث الغمامة كلها ومن جملتها هذا، وادعى آخرون وضعها" (٨٠).

علاوة على هذا كله فإن المحدثين اختلفوا في توثيق أبي بكر بن أبي موسى صاحب رواية سفر النبي إلى الشام فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ومنهم من أنكر روايته عن أبيه (٨١) فالرواية والحال كذلك يحوطها الكثير من الشك.

أما رواية الواقدي عن مقابلة النبي ﷺ لبحيرا فقد جاءت في سياق حديثه عن فتح العرب لمدينة صور بالشام بقيادة يزيد بن أبي سفيان (ت: ٦٤هـ) وهي رواية دون سند وظاهرة الضعف والتهافت إذ أن باسيل راوي الخبر رجل نكره لا يعرف عنه شيء، وهو يجعل زيارة النبي للشام ومقابلة بحيرا عندما قدم بتجارة خديجة بنت خويلد وأن رسول الله ﷺ استلقى تحت شجرة يابسة فأورقت من فورها، لذلك السبب دعى بحيرا قریش وأولم لهم وأخبرهم بمستقبل محمد ﷺ. وفي هذه الرواية كذلك خلط واضح بين رحلة النبي مع عمه إلى الشام إن صحت ورحلته في تجارة خديجة التي تذكرها بعض المصادر. وكل هذه المعلومات تتعارض مع الروايات المختلفة التي تحدثت عن رحلة النبي ﷺ وهو صبي مع عمه أبي طالب إلى الشام. ولذلك فلا يصح الاعتماد عليها علاوة على أن مصدرها الوحيد

(٧٩) نظر: الأصبهاني، دلائل النبوة، ص ١١٣.

(٨٠) نظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، حاشية ص ٤٤١.

(٨١) نظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٣٠٢/٦.

كتاب فتوح الشام الذي ينسب للواقدي وهو كتاب مشكوك فيه إلى درجة كبيرة.

وجاءت رواية البلاذري عن رحلة النبي ﷺ إلى الشام في غاية الاختصار، فليس فيها من الخوارق سوى ظل الغمامة ولم تذكر الرواية وليمة بحيرا لرجال القافلة وليس فيها تحذير من أهل الكتاب سواء يهوداً كانوا أم نصارى، وكل الذي طلبه بحيرا من أبي طالب هو أن يحتفظ بإبن أخيه فإنه نبي كريم. ولكن من الواضح كذلك أن بشارة بحيرا بنوة محمد ﷺ لم تترك أثرها في نفس عمه أبي طالب الذي رغم حبه واحترامه الشديد لإبن أخيه فإنه ظل على شركه حتى وفاته.!

والمسعودي من المصادر القليلة التي أمدتنا ببعض المعلومات عن بحيرا فهو من عبد القيس واسمه سرجس وأنه من أهل الفترة، وهو يتفق مع بعض المصادر بخصوص سن النبي وقت الرحلة وهو اثنا عشر عاماً، والملاحظ أن بعض الخوارق كظل الغمامة لم تثر أي تساؤل لدى المؤرخ والجغرافي ذي البصيرة النافذة. وكذلك فإن مصاحبة أبي بكر وبلالاً للنبي ﷺ في تلك الرحلة لم تسترع انتباه المسعودي. ولعل ما يلقي ظلالاً كثيفة من الشك على رواية المسعودي في الكثير من تفاصيلها ربطه بين عودة النبي ﷺ ذي الإثنى عشر عاماً إلى مكة وبدء علاقته بخديجة وتجارته. ومعلوم أن الرسول ﷺ لم يعمل في تجارة خديجة إلا بعد سن العشرين أي ربما بعد ما يقارب ثماني سنوات من رحلة الشام المزعومة.

ورواية الأصبهاني عن خبر الرحلة إلى الشام قريبة الشبه بما نجده لدى ابن إسحاق وابن شهاب من أخبارها وخوارقها إلا أنها تزيد على تلك باخضرار أغصان الشجرة التي استظل بها الرسول ﷺ وانقلاع الشجرة من أصلها حين فارقتها، والرواية تحدد سن الرسول ﷺ وقت الرحلة بعشر سنين وتذكر اسم الشخص الذي أحضره للطعام وهو عمه الحارث بن عبد المطلب، وهذه هي المرة الأولى التي يرد فيها اسم الحارث عوضاً عن الإشارة إلى

رجل مجهول من رجال القافلة كما درجت الروايات على الإشارة إليه. ومعلوم أن الحارث توفي قبل عام الفيل بخمس سنين لذلك فلا يصح التعويل على هذه الرواية إذا أنها دون سند ومثقلة بالخوارق التي يصعب على الباحث المدقق قبولها.

وكذلك فإن ابن خلدون عندما عرض لرحلة النبي ﷺ إلى الشام فقد أشار إليها باختصار ولكنه أكد على الخوارق التي صاحبت تلك الرحلة مثل الغمامة وسجود الشجر والآفت للنظر أن ابن خلدون وهو المؤرخ الذي يدعو إلى النظر العقلي في الكثير من الأحداث التاريخية لم يساوره الشك في تلك الخوارق المزعومة، ولعل ابن خلدون هو المؤرخ الوحيد الذي أشار إلى أن سن النبي ﷺ وقت الرحلة كان يتراوح بين الثالثة عشر والسابعة عشر. والرواية عموماً جاءت دون سند وتذكر بعض الخوارق مثلها مثل الروايات السابقة لهذا فإنه لا يمكن التسليم بها.

أما رواية المقرئزي المتعلقة برحلة النبي ﷺ إلى الشام فلعل أهم ما يميزها عن الروايات السابقة هو تحديدها على وجه الدقة لسن النبي ﷺ وقت الرحلة وهو: "... اثنتي عشر سنة وشهرين وعشرة أيام..." ثم أردف قائلاً: وقيل ابن تسع سنين، ثم إن المقرئزي ذكر على وجه الدقة تاريخ وصول النبي ﷺ إلى بصرى "... لعشر خلون من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من عام الفيل". ثم ذكر بعض الخوارق التي شوهدت في أثناء الرحلة من تظليل الغمام وميل الشجرة بظلها على رسول الله ﷺ ولا ريب أن هذه الدقة المتناهية في ذكر تاريخ السفر وكذلك تاريخ الوصول إلى بصرى من أسباب ضعف الرواية إضافة إلى افتقارها للسند وذكرها لتلك الخوارق التي يستحيل تصديقها. ويبدو أن المقرئزي استفاد من بعض معلومات ابن الجوري عن سن النبي ﷺ وقت الرحلة.

صفوة القول أن الرسول ﷺ قد ذكر في أكثر من مناسبة رحلته في تجارة السيدة خديجة

إلى سوق حُباشة في تهامة الحجاز^(٨٢). وفي الوقت نفسه يلاحظ أنه لم يذكر شيئاً عن رحلته مع عمه إلى الشام ولم يروى شيئاً من أخبارها ولا الخوارق التي رافقتها. بل إنه في أثناء دعوته إلى الله في مكة لم يحتج على قومه بخوارق رحلة الشام باعتبارها دليلاً على نبوته وصحة دعواه، والأكثر من ذلك أن أصحاب قافلة الشام من أهل مكة لم يتذكروا تلك الرحلة وأخبارها الغريبة!

كل ذلك يضعف من مصداقية تلك الروايات ويفقدها قيمتها التاريخية.

ب/ روايات دون خوارق:

وبالقدر الذي اختلفت فيه الروايات المتعلقة بالخوارق في بعض تفاصيل رحلة النبي محمد ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام وما قيل عن مقابلته للراهب بحيرا، فإن في المجموعة الثانية من الروايات قدر لا بأس به من التشابه والاختلاف يمكن ملاحظته دون عناء. ويمكن عرض الروايات حسب أقدمية مصادرها وهي على النحو التالي:

رواية ابن شهاب الزهري (ت: ١٢٤هـ):

قال: ذهب محمد ﷺ عندما ناهز الحلم مع عمه أبي طالب إلى الشام. وفي تيماء رآه حبر من يهود تميم، فسأل أبا طالب عن صلته بمحمد فأخبره أنه ابن أخيه، فحذره الراهب من الذهاب به إلى الشام، لأنه قد يقتل هناك لأنه عدوهم. فرجع به أبو طالب من تيماء إلى مكة^(٨٣).

(٨٢) انظر: الزهري، المغازي النبوية، ص ٤٢. وقارن: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨١/٢ — ٢٨٢؛ ياقوت بن عبد

الله الحموي، معجم البلدان، ٢١٠/٢ — ٢١١.

(٨٣) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ص ص

٤٠ — ٤١.

رواية الواقدي (ت: ٢٠٧هـ):

جاء عند الواقدي بسنده عن داود بن الحصين^(٨٤)، أنه لما بلغ الرسول ﷺ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام للتجارة، ونزلوا بالراهب بحيرا، فقال لأبي طالب في النبي ﷺ ما قال، وأمره أن يحتفظ به فردّه أبو طالب إلى مكة^(٨٥).

رواية أبي مجلز^(٨٦) (ت: ١٠٦هـ):

أورد هذه الرواية ابن سعد بسند طويل ينتهي بأبي مجلز، ومفادها أن عبد المطلب أو أبا طالب، أخذ معه محمداً ﷺ نحو الشام وفي الطريق أتاه راهب فقال إن فيكم رجلاً صالحاً فقال: إن فينا من يقري الضيف ويفك الأسير ويفعل المعروف... ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟ فقال: ها أنذا وليه. قال: احتفظ به ولا تذهب به إلى الشام إن اليهود حسد وإنني أخشاهم عليه. قال: ما أنت تقول ذاك ولكن الله يقوله، فردّه. قال: اللهم إني استودعك محمداً، ثم إنه مات^(٨٧).

رواية ابن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ):

جاءت هذه الرواية في الاستيعاب غاية الاختصار، قال: خرج النبي ﷺ مع عمه أبي طالب

(٨٤) اود بن الحصين: الأموي، مولا هم أبو سليمان المدني (ت: ١٣٥هـ) مختلف في توثيقه، قيل: ثقة وقيل: لين وقيل: ليس بالقوي، وقيل: ليس به بأس، وقيل: منكر الحديث. انظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ١١٤/٢.

(٨٥) نظر: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ١٢٠/١ - ١٢١.

(٨٦) أبو مجلز: واسمه لاحق بن حميد السدوسي، وكان ثقة وله أحاديث، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز. انظر: ابن سعد،

الطبقات الكبرى، ٢١٦/٧، ابن قتيبة، المعارف، ص ٤٦٦. وقيل مات سنة ست ومائة. انظر: خليفة بن خياط: كتاب

الطبقات تحقيق سهيل زكار (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ) ص ٣٥٨. قيل: إنه مضطرب الحديث، وقيل إنه يدلس.

انظر: الذهبي، الميزان...، ٢٣٨/١؛ طبقات المدلسين، ٢٧/١.

(٨٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٢٠/١.

في تجارة إلى الشام سنة ١٣ من عام الفيل فرآه بحيرا الراهب ، فقال : "احتفظوا به فإنه نب" ^(٨٨).

رواية ابن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) :

قال ابن الجوزي في روايته هذه أنه لما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام اصطحبه عمه معه إلى الشام فنزل تيماء فرآه حبر من اليهود ، يقال له بحيرا الراهب فسأل أبو طالب عن قرابته من هذا الغلام فقال إنه ابن أخي . فنصحته ألا يذهب به إلى الشام لئلا يقتله اليهود فرجع به إلى مكة ^(٨٩).

رواية ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) :

قال عن رحلة النبي مع عمه إلى الشام.. فلما بلغ اثنتي عشرة سنة خرج به عمه إلى الشام وقيل كانت سنه تسع سنين ، وفي هذه الخرجة رآه بحيرا الراهب ، وأمر عمه ألا يقدم به إلى الشام خوفاً عليه من اليهود ، فبعثه مع بعض غلمان به إلى مكة ^(٩٠).

نقد الروايات :

تعد رواية ابن شهاب الزهري أقدم رواية تناولت خبر سفر الرسول مع عمه إلى الشام ، ولكن الرحلة تنتهي في تيماء وبناء على نصيحة حبر من يهود تميم يعود به عمه إلى الحجاز لأن الراهب حذره من الذهاب بابن أخيه إلى الشام لأنه عدوهم ، ولم تفصح الرواية عن سبب عداوة أهل الشام لهذا الصبي الذي لم يبلغ الحلم بعد ، ثم إن هذا الراهب يهودياً وليس نصرانياً كما درجت الروايات على نسبته ، والرواية دون سند. ولم

(٨٨) ابن عبد البر النمري القرطبي ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب بهامش الإصابة ، ٢٢/١ .

(٨٩) انظر ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ٢١/١ ؛ وانظر الرواية الأخرى المطولة ذات الخوارق والمعجزات ينسبها ابن الجوزي خطأً لداود بن الحصين . ص ص ٢١ — ٢٢ .

(٩٠) محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق عرفان عبد القادر العشا (بيروت : دار الفكر ، ١٤١٨هـ) ٣٧/١ .

تذكر الرواية ما الذي لاحظته الراهب على محمد ﷺ ولم يفصح كذلك عن سبب عداوة أهل الشام له.

أما رواية الواقدي بسنده عن ابن الحصين فهي في غاية الغموض ، فقد قال الراهب بحيرا لأبي طالب ما قال عن النبي ﷺ ، فردّه أبو طالب إلى مكة. فالرواية على هذا النحو لا تفيد شيئاً ، إضافة إلى أنها مرسلة ، وداود بن الحصين (ت : ١٣٥ هـ) مختلف في توثيقه^(٩١).

ورواية ابن سعد بسنده عن أبي مجلز رواية لا تقل في غموضها عن رواية الواقدي السابقة ، وهي مضطربة في اسم الذي رافقه النبي ﷺ إلى الشام أهو جده عبد المطلب أم عمه أبي طالب ، ومعلوم أن جد الرسول ﷺ توفي ولرسول الله ﷺ من العمر ثمانين سنين ، ثم أن الرواية لا تبين للقارئ في أي مكان كان لقاء الراهب؟ ومن هو؟ والأكثر غموضاً أن الراهب حذر ولي أمر النبي من اليهود لأنهم حسد ، ورد عليه بالقول : ما أنت تقول ذاك ولكن الله يقوله ؟

ولذلك فإن الرواية يلفها الغموض ولا تفيد بشيء يمكن الاعتماد عليه علاوة على أن أبي مجلز صاحب الرواية مختلف في توثيقه والأكثرية على أنه مدلس ومضطرب الحديث^(٩٢).

وكذلك فإن رواية القرطبي في غاية الاختصار فهي تذكر مرافقة الرسول ﷺ لعمه إلى الشام في سن الثالثة عشر ، وأن الراهب بحيرا رآه فنصح عمه بالاحتفاظ به لأنه نبي.

هذه الرواية أقرب إلى الواقع لخلوها من الخوارق هذا إذا كانت الرحلة قد حدثت فعلاً ، ولكن وجه الإشكال فيها أنها رواية مرسلة ، ثم أنها لم تبين الإمارات التي لحظها

(٩١) انظر: ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ١١٢/٢ .

(٩٢) انظر: الذمبي ، الميزان ، ٢٣٨/١ ، الضعفاء الكبير ، ٣٧٢/٤ .

بحيرا على النبي ﷺ حتى أنه بشر بنبوته ، وكذلك فإن موقف أبي طالب من دعوة النبي إلى الله ليس فيه ما يؤيد ما حدث في لقاء الراهب ، فكان الحري بأبي طالب المسارعة إلى تصديق محمد ﷺ فور إعلان نبوته ودعوته بناءً على ما شاهده من خوارق رحلة الشام وبشرى بحيرا بنبوته محمد.

ورواية ابن قيم الجوزية قريبة الشبه بالرواية السابقة من حيث الاختصار والسند فإن بحيرا الراهب رأى محمد ﷺ وأمر عمه بعدم القدوم به إلى الشام خوفاً عليه من اليهود فبعثه عمه مع أحد غلماناه إلى مكة !

الراهب في هذه الرواية لم ييشر أبي طالب بنبوته محمد ﷺ ولكنه خاف عليه من اليهود في الشام ولم توضح الرواية سبب الخوف على النبي ﷺ من اليهود ، ومعلوم كذلك أن أبا طالب من شدة ولعه وشفقته على ابن أخيه لم يتركه بين أهله في مكة بل اصطحبه معه إلى الشام فكيف الآن يفرط في أمره ويبعثه مع بعض غلماناه إلى مكة !

وقريب من هذا رواية ابن الجوزي التي تذكر أنه لما كان للنبي ﷺ اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام ذهب مع عمه إلى الشام ، وفي تيماء رآه حبر يهودي اسمه بحيرا ، فنصح عمه بإعادته إلى مكة خوفاً عليه من اليهود في الشام.

فالملاحظ على هذه الرواية أنها دون سند وكذلك حرصها على تأكيد السنة والشهر واليوم من عمر النبي ﷺ وقت الرحلة وهذا أدعى للشك في صحتها إذ أنه من المتعذر ضبط ذلك على وجه اليقين ، ثم ماذا عن هذا الحبر اليهودي لم يبين لأبي طالب السبب الذي من أجله سيقتل يهود الشام محمداً !

هذه المجموعة من الروايات ظاهرة الاضطراب في أمر الراهب الذي قابله رسول الله ﷺ في رحلة الشام ، فبعضها يذكر أنه من يهود تميم وبعضها يذكر أنه من يهود تيماء

وبعضها يذكر أن ذلك الخبر من أهل الشام والبعض الآخر من تلك الروايات يغفل شأن بلد الراهب أو الخبر ويكتفي بتأكيد أمر المقابلة.!

لذلك فقد بقيت ديانة ذلك الراهب غير محسومة، أي اليهودية أم النصرانية علماً بأن أشهر روايات المجموعة الأولى تؤكد على نصرانيته.!

وكذلك الأمر فيما يتصل بالمرحلة النهائية لرحلة الشام فأين من الشام أفي بصرى أم غيرها؟ أم أنها اقتضرت على تيماء؟

مما تجدر ملاحظته أيضاً أن هذه المجموعة الأخيرة من الروايات جاءت خالية تماماً من الإشارة إلى بصرى التي تكررت الإشارة إليها في روايات المجموعة الأولى، كما أنها قد خلت تماماً من أي ذكر لدير الراهب أو صومعته.

لذلك فإنه يصعب قبول هذه الروايات حيث أنها ضعيفة جداً بمقاييس المحدثين لأنها روايات مرسلة، ويصعب قبولها كذلك من وجهة نظر المؤرخين لأنها روايات مضطربة ولا تصمد أمام النقد الموضوعي.

الخلاصة:

من العرض السابق يتبين أن مصادر التاريخ الإسلامي العام لم تتفق على أصل الراهب بحيرا ولا بلده ولا دينه أهو نصراني أم يهودي. وكذلك الأمر فيما يتعلق بالمصادر النصرانية فهي مضطربة في أصل ذلك الراهب وحقيقة لقائه بالرسول ﷺ وهي في أحسن الأحوال إن قبلت بصحة اتصال النبي ﷺ براهب نصراني فهو راهب ملحد خارج عن طاعة الكنيسة ومع ذلك فإن هذا الراهب هو الذي أخذ عنه محمد ﷺ تعاليم دين الإسلام فيما يزعمون وهذا ما قادهم إلى الطعن بنبوة النبي ﷺ. وكذلك فإن المصادر الإسلامية والمراجع النصرانية لم تتفق على مكان دير بحيرا أو صومعته بصورة قاطعة.

أما فيما يتعلق بروايات السيرة النبوية بخصوص رحلة النبي ﷺ إلى الشام مع عمه أبي طالب فإنها تنقسم إلى قسمين من حيث رواياتها لخبر الرحلة.

القسم الأول منها: روايات مفصلة ومثقلة بخوارق الطبيعة مثل مسير الغمام على رأس رسول الله ﷺ وتهصر الشجر عليه وسجود الشجر والحجر له ويؤخذ على هذه الروايات أنها روايات مرسلة وبعضها دون أسانيد على الإطلاق وأوثق هذه الروايات سنداً رواية أبي بكر بن أبي موسى الأشعري التي وردت في سنن الترمذي وهي من مراسيل الصحابة ولعل أكثر عناصر تلك الرواية ضعفاً هو إدعائها صحبة أبي بكر وبلال لرسول الله ﷺ إلى الشام وهو حينئذ صبياً لم يتجاوز الثانية عشر من العمر إضافة إلى مسير الغمام وتهصر الشجر.

والقسم الثاني من الروايات أي الروايات الموجزة والخالية من الخوارق فبعضها يؤكد رحلة النبي ﷺ إلى الشام والبعض الآخر يؤكد عودته من تيماء. والملاحظ على الروايات المفصلة والموجزة تأكيداً أن الراهب النصراني أو اليهودي في بعض الروايات يحذر أبا طالب من خطر يهود الشام على حياة (محمد) ﷺ. والمفارقة هنا أنه كان يتوجب على

الراهب تحذير أبي طالب من خطر اليهود أو أهل الكتاب في الحجاز على حياة نبي المستقبل محمد ﷺ. لأنه يعيش بينهم ويعرفون بلده وأهله.!

لقد ورد في بعض الروايات على لسان النبي ﷺ أنه ذهب إلى سوق حباشة بتجارة للسيدة خديجة ولكن لعل ما يدعو للفضول هو عدم إشارته إلى رحلة الشام مع عمه أبي طالب لا من قريب ولا من بعيد!! فكيف يمكن تفسير هذا الصمت المطبق على رحلة كان يمكن أن يكون لها الأثر العميق في نفس ذلك الصبي ، الذي أصبح فيما بعد محمد رسول الله ﷺ.

في ضوء ما تقدم من علامات استفهام فإن الباحث يتردد في حقيقة وجود الراهب بجيرا ويتردد كذلك في قبول خبر رحلة النبي ﷺ إلى الشام مع عمه أبي طالب حتى تتوافر معلومات أكثر مصداقية وأكثر موضوعية وحينها يمكن الوصول إلى رأي حاسم في هذه القضية.

هذا ما أدى إليه الاجتهاد والله أعلم بالصواب.

رحلة النبي ﷺ إلى الشام ومقابلة الراهب بحيرا

"قراءة نقدية"

ملخص البحث:

إن الباحث في قضايا السيرة يجد اضطراباً كبيراً في بعض مروياتها مما يجعل من الصعوبة التوفيق بينها ومن تلك القضايا رحلة الرسول ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام ومقابلته للراهب بحيرا وما صاحب تلك الرحلة من أخبار. لذلك فإن هذه الدراسة تهدف إلى نقد روايات الرحلة نقداً داخلياً وخارجياً بإثارة سؤال رئيس عن ذهابه ﷺ إلى الشام وهل وقع فعلاً أم أنه رجع من تيماء؟ أم أنه لم يذهب أصلاً؟ وإن كان قد ذهب هل قابل الراهب بحيرا؟ وإن قابله ماذا لاحظ عليه؟ وهل وقعت تلك الخوارق والمعجزات التي ترد في بعض الروايات؟

هذه التساؤلات من الصعب الإجابة عنها دون معرفة حقيقة وجود الراهب نفسه وكيف تصورهما المصادر الإسلامية والمصادر الغربية والدراسات الأوروبية الحديثة؟ وما ديره وما صومعته وأين تقع؟

وأخيراً لا مناص من تصنيف الروايات الإسلامية إلى مجموعتين رئيسيتين، أولاهما ذات خوارق وثانيتهما دون شيء من ذلك. ومن ثم فلا بد من نقد تلك الروايات للتعرف على صحتها من سقيمها، وهذا سيقود بالضرورة إلى مناقشة ما ورد في تلك الروايات من أخبار وخوارق والمأمول من هذه المناقشة مساعدة الباحث في الخروج برأي صائب حول حقيقة رحلة النبي ﷺ إلى الشام وما صاحبها من أخبار.

Abstract

Prophet Muhammad's Meeting With The Monk Bahira

by

Prof. Muhammad F. Al - Jameel

There are numerous conflicting reports regarding Muhammad's Journey with his uncle to Syria during his childhood and the meeting with Bahira. The purpose of this Paper is to read and examine carefully these different historical accounts pertaining the Syrian journey, in order to place them in their historical form.

Therefore, one should ask basic questions concerning Muhammad's trip, such as: has it happend? did he realy Reached Syria? or did he returned from Tayma? If he did go to Syria did he met the Monk Bahira? and if so ! What happend in that meeting? The answer to these questions may be found in some of the Islamic and western literature which will be the subject of this Paper.